OPEN ACCESS
Journal of Arabic Research (AIOU)
jar.aiou.edu.pk
iri.aiou.edu.pk

دراسة مقارنة للقصة الشعبية "قيس وليلي" بين الأدبين العربى والأردي

A Comparative study of Folk tale "Qais and Layla'In Arabic and Urdu Literature

۞ د. لبنى فرح

أستاذة مساعدة، الجامعة القومية للغات الحديثة، إسلام آباد

۞۞ د .شهامد على طاهر

مدرس، مدرسة الحكومية، باكبتن

ABSTRACT

The folk tales in literature around the globe comprehend tales, myths, traditions, customs. They link regions and countries denying boundaries The article aims to search the Arabic folk tale "Qais and Layli" very famous in Arabic Badia (Desert). Its story which changes from genre of genuine love in Arabic literature in safest love in Urdu literary genre. We will try to reveal the similarities among Arabic and Urdu literature, how the interaction and influence occurred? What resulted in enriching culture and idea in Urdu, changes of the events in the Urdu story while most important ones kept same. The article comes within comparative study of the story in two literatures, it is qualitative study and descriptive method applied. "Qasis and Layli" world class story among both literatures the paper will show the importance of Qasis and Layli as source of inspiration for other love stories written in both literatures. This research will contribute in understanding the impact of Arabic literature on Urdu folk tales.

Keywords: Folk tales, Qais and Layli, Arabic culture, Urdu culture.

المقدمة

القصص الشعبية جزء لا يمكن أن ينسى في التراث يحتاج لعناية كبيرة لتدوينه، يحتوي على إنتاج فني أدبي مبدع. وهو أسلوب التعبير الفني عن الفكر والتقاليد للشعوب يمس الحياة من جميع جوانبها حيث أنه جانب مهم في دراسات الأنتروبولوجيا جميع الدراسات الحديثة تثبت أن القصص الشعبية تعتبر شكلا مهما من أشكال التعبير الشفهي حيث يصور لنا ثقافة وأحداث مجتمع في أوقات مختلفة. و موضوع القصة الشعبية مهم لأنه يلعب دوراً مهماً في الحفاظ على التراث وسلوكيات وأخلاقيات الشعوب. عندما نتبع تاريخ وحضارة الشعوب نجدها متشابه فيما بينها، يتبادر إلى الذهي كيف حدث التفاعل والتأثير؟ ما الذي نتج عن الاتصال في إثراء ثقافة وفكرة الشعوب، وما الموضوعات التي وجدت

نتيجة التفاعل. اللغة لا يمكنها أن تنعزل عن التأثر عندما اعتنق سكان شبه القارة الهندية واقبلوا على التعامل وتعلم مع العربية، وكانوا يقدسونها لارتباطها بكلام الله. دخلت فنون شتى من العربية إلى الأردية، وتبادل ثقافي وحضاري وجعل المجال الأدبي يتنوع باندماج الثقافتين والفنون، ويضفي رونقا جماليا بحلة جديدة. فقصّة "قيس وليلي" قصة اشتركت بين الأدبين، وهي قصة عربية نثرية خالصة[1] البعض ادعى أنه قصة خيالية خرافية لكن هناك من يدعي أنها قصة حقيقية. اخترت الموضوع بسبب رغبتي في معرفة نقاط التشابه والاختلاف في القصة بين الأدبين، والسبب الآخر تعرف ما اكتسبه الأدب الأردي من العربي في مجال القصص الشعبية، ومنها قصة "قيس وليلي".

اعتمدت على منهج وصفي تحليلي وإضافة إلى ذلك منهج تاريخي لأنه قصة تاريخية. البحث يتبع منهجاً وصفياً تحليلياً: حيث جمع عناصر القصة الشعبية المعروفة بقيس وليلي ومن ثم ما تدور حوله القصة والإلمام بجوانب الحياة الاجتماعية والثقافية والغوص في شخصيات القصة. الدراسة تهتم بدراسة سلوكيات شخصيات القصة "قيس وليلي" من الناحية السياسية والاقتصادية.

القصة تعريفها

القصة لغة: الحدث أو الخبر كما جاء في لسان العرب(2)

واصطلاحا: "الخبر الطويل الذي يتبع بعضه بعضاً، حتى يتناول الأثر من جميع جوانبه"[3]. القصة الشعبية بمعناها الخاص تمثل "أثراً قصصياً ينتقل مشافهة أساساً يكون نثريا، يروي أحدثا خيالية لا يعتقد روايها ومتلقيها في حدوثها الفعلي، تهدف للتسلية وتزجيه الوقت والعبرة"[4].

الفرق حسب نبيلة إبراهيم القصة الأدبية عن القصة الشعبية: "الخبر الذي يتصل بحدث قديم ينتقل عن طريق الرواية الشفوية من جيل إلى جيل أو هي خلق حر للخيال الشعبي ينتجه حول حوادث مهمة وشخوص مواقع تاريخية"[5].

هناك من يراها "مرادفة للأدب الشعبي فهي تتنوع وفقاً لأهداف ثلاث بوجه عام تمجيد أفعال الأجداد والتداول الفني للأساطير القديمة، والتسجيل الواقعي لأحداث الحياة اليومية وما إلى ذلك"[6].

أنواع فن القصة:

1. أقصوصة: تكون لها شخصيات قليلة، مليئة بالاختصارات.

2. قصة قصيرة: دخلت من الإنجليزية إلى الأدب العربي هي تعالج القضايا الاجتماعية، أوجدت خلط بين قصة والقصة القصيرة(7)
3. الحكاية: حسب د. غنيمي هلال: مجموعة لأحداث مرتبة تحكي موضوعاً عاماً(8)
4. الرواية: يصعب تحديد مفهومها، شاملة في موضوعاتها تعبر عن الأخلاقيات والقضايا(9)

القصص الشعبية

الأدب ليس مكتوباً بل في بعض الأحيان يكون شفهيا قائما بذاته واعتمدت عليه الشعوب القديمة واعتمدت على التلقائية، ولعبت الحافظة على الحفاظ عليه وعلى المأثورات الشفهية. الأدب الشعبي أو القصة الشعبية خرجت من لفظ مركب، القصة تمثل أدب ثقافي، والشعبي يمثل إنتاج الشعب. استمرت القصص الشعبية في إرضاء الجمهور وكسب تأييدهم، كانوا رواة محترفين هم المساهمون في نشر هذا النوع من الأدب. ولقد عرف العرب أنواعا للقصص، وقد مرت هذه الأنواع بأشكال مختلفة(10): منها القصص الخيالية، والقصص القصيرة، قد كان للقصص نفوذ قوي على الإنسان وإن القصة الشعبية فإنها نظام أدبي يعكس الأسلوب الجماعي للمجتمع، وهي وعاء للأحداث وهي الأداة لتصوير وقائع المجتمع والفرد، والقصة الشعبية تسعى للتعبير عن الواقع النفسي في حدود إطار يحتمل أنه قد وقع(11)، وهي لون ثقافي تتجلي بها ثقافة شعبية، وتكون مُسردة بين شفاه الناس بأكثر مما تكون مكتوبة، تؤدي القصة الشعبية وظائف تربيوة حيث أنها تتعدي التسلية، وتنتقل من قطاع الحياة، ومن اللاوعي إلى الوعي الجماعي(12)

ولأن القصة الشعبية تكون معتمده على الحافظة وتنقل المواريث القصصية عبر جيل منه لأجيال تالية، معتمدة على الذاكرة، وتهجر من منطقة ومكان لآخر، ومن حضارة إلى أخرى. لذا تتعرض للتبديل والتحوير، لا تتمسك بصورة واحدة بل تتغير. القصة الشعبية من أقدم موضوعات ابتدعها الإنسان من خيالها الشعبي، وهي لا ترتبط بأي زمان و مكان، فقط أرتباطها يكون بعقلية الإنسان فهي ميراث للحضارة التي تنبعث منها. تنتقل من جيل لآخر. القصة الشعبية ميراث للحضارات ومواريث تنتقل عبر الإجيال، وتكون مبتدعة من الخيال الشعبي، مليئة بحس تربوي وفني لأنه يعكس الفطرة الإنسانية.

لكن الآن أصبح مسجلاً ومذاعاً ومحبوباً شعبياً لأنه أدب العامة، يعبر عن وجدان جماعات شعبية. وبما أنه شعبي فهو رديف للماضي، يرمز للأصالة والخصوصية لكل أمة يصدر عنها. البحث عن الموطن الأصلي لأي قصة شعبية، فنجد أنفسنا غير قادرين للوصول إليها، الاعتراف بعدم إمكانية

الوصل للأصول يكفي القول أن النص يُنسب للمكان من حيث تداوله وليس من أصله. جمع العلماء أكثر من أربعمائة قصة من جميع أنحاء العالم(13). لعب الرواة دور في بقاء القصة الشعبية، ووصولها إلينا كان لديهم أسلوب التمازج في الأساطير بالقصة الشعبية مثل كقصة "الإسكندر الأكبر" التي نجدها منتشرة في أغلب القصص الشعبية بالعالم.

منذ أن وعي الإنسان واتصل بالآخرين، بدء في سرد ورواية القصة فكان بذلك ينقل الأحداث والتجارب التي يعيشها ويجربها مع الآخر، وهكذا كانت القصة "تراث ثمين يحمل صوراً عن التصورات والتجارب الإنسانية العقلانية، للظواهر والوقائع(14). القصة الشعبية تختلف في مضامينها لأنها تترجم الحياة والمعيشة للواقع والخيال والتراث للمجتمع التي تعيش فيه. وهي ليست للتسلية فقط، بل لها قيم اجتماعية التي تلعب دوراً هاماً لأجل تحقيق التجانس والتألف في حبكتها. وهي مغروسة في اللاوعي والاستكشاف لقطاع الحياة وفلسفتها(15). استُخدام مصطلح القصة الشعبية والذي نتج عن الخلط بين (القصة الشعبية) و(الحكاية الشعبية). وهو مصطلح لا يختلط بغيره من أنواع القصص(16). القصة الشعبية تُعتبر من الموضوعات القديمة التي ابتدعها الخيال الإنساني، وهي ظاهرة لا صلة لها بزمان معين أو مكان خاص، ترتبط بعقلية الإنسان وإبدعه، ولذا تُعتبر ميراث الحضارة التي تعيش فيه، حيث تكون حكمة الشعب ومجلى تفكيره واعتقاده.

بواعث القصة الشعبية والاختلاف في الشخصيات

الحكاية هي عنصر سرى في المجتمع العربي ونجد جذوره في التراث العربي، وقد سميت باسم قصص عامية: منها قصص شعبية، والاسم المعاصر لها القصص الشفاهية(17). نجد الأدب القديم يزخر بالقصص واللون الأدبي، والذي نقل الينا الأدب الشعبي هم الرواة، حيث كان لهم دور في الحفاظ في القصص الشعبية. والقصص الشعبية هي حكايات شفاهية تبدء من الراوي الذي يسردها وتنتقل من شخص لآخر عبر الشفاه، تحمل تغيرات تجرى خلال تناولها، وتكمل فيها أركانها السردية، ولكنها منجزا أدبيا.كان للرواة لرواية القصة الشعبية دور بارز في الحفاظ عليها ووصولها إلى عصرنا، وعامل الذاكرة لعب دوراً كبيرا في الحفاظ على أشكالها وأبعادها(18).

العوامل التي لعبت دوراً بارزاً في القصة الشعبية اتصالها بالظروف البدوية وحياة الترحال، بالإضافة للبيئة والموقع الجغرافي الذي لعب دوراً هاما في نمط حياة البادية، والحروب بين القبائل ساعدت على رواج القصة الشعبية، لأن الحروب تُنتج قصص أبطال شاركوا فيها فيشيد بذكرهم الرواة

وينقلون شهرتهم من جيل لآخر، نجد الرواة لعبوا دوراً بارزاً في نقل القصة الشعبية لأجل التواصل بين الأجيال.

نجد آثاراً للقصص الشعبية في القرن التاسع عشر في أوروبا، حاول علماء الآثار أن يجمعوا القصص الشفوية حسب الأماكن الجغرافية ومواضيعها المختلفة مثل السحر والقتل والتزوج بالأميرات. القصص الفكاهية مليئة بألغاز(19) أهتم بالقصص الشعبية المسامرون وكتاب الأخبار، وأغلب حكايتها تصدقها الشعوب وتعتبرها حقيقة، أيضا تضم حوادث تاريخية تحمل شخصيات وأبطال يصنعون التاريخ. في بعض الأحيان نجد أختلافاً في التواريخ للقصص التاريخية إذا ما كانت القصة مرتبطة بتاريخ السلاطين والخلفاء والحكام، فنجد اختلافاً في قصة حرب البسوس التي يتدوالها العرب ضمن القصص الشعبية في الشخصيات البطلولية الواردة فيها. مثلاً هزيمة المهلهل وموقف أمرئ القيس وتضحياته في القصص الشعبية، وشخصية الحجاج ايضا نجدها تختلف في القصص الشعبية وخاصة ظلم الحجاج وجوره على الشعب. بعض الحكايات الشعبية تخص مكر وكيد النساء حيث نجد بعض القصص تُنصر المرأة الخير على الشريرة، وقصة "حيلة أمرأة" للجهيمان حيث أنه يصف مكايد الزوجة لأقارب زوجها.

المحاكاة والكتابة في القصص الشعبية

القصة الشعبية من اللاشعور الجماعي، كانت القصة ملاذة للأسلوب الهادف ليصلح المجتمع، وغرس الأخلاق لدى الأجيال كانت تنتقل عبر ألسنة المربين، والمعلمين(20). بما أن القصة الشعبية وليدة البيئة الحية فهي تعتمد على الصور الحية للشخصيات التي تدور حولها وهي لون للثقافة الشعبية التي تنشأ عنها.

القصة نوع أدبي لها لباسها المحلي، وصورتها بالبيئة التي ولدت فيها وتسيطر عليها السمة والطابع للمجتمع الذي ولدت فيها. لذا تقدم صورة لحياة الشعب تكون لها ألوان تعكس نواحي مختلفة للحياة ويتمثل فيها الصدق والإحساس الشعبي، وإن صح فهي لسان المجتمع، وعبر التنقل القصة من شعب لآخر فإنها تكون عرضة للتغير والتحريف والزيادة أحيانا وفي بعض الأحيان للحذف وتبديل في حبكتها، أو محتوياتها. قصة مجنون ليلي قصة إجتماعية رومانسية تناقلت عبر الأداب شفاهياً وطرأ عليها تغييرات خلال تنقلها من أدب إلى أدب آخر. القصة المكتوبة والقصة الشعبية (القصة الشفاهية) لقد شغلت الباحثين لمحاولة فهم علاقة النص بالكتابة. لذا يصعب على الدراسيين التميز بين النصوص الأصلية والمزيفة(21).

لأن الزمن الذي تدور فيها أحداث القصة لم تكن الكتابة معروفة آنذاك، فكانت من الأدب الشفوي لذا حدث تغير في مضمونه و مكوناتها. حدث لها تحريف وتبديل لتنقلها من جيل لآخر، مع هجرة القصة من أدب لآخر والتغييرات المصاحبة لها إلا أن المكونات تكون متوفرة بها وتربط بين المتن وبين البيئة التي تدور فيها الأحداث. هناك ثراء للمنجز الحكائي الشعبي، وهذا الثرء هو إنعكاس للفرد وفكرته وبساطته، وهو يعكس جمال الشكل، والأداء رغم التغيرات التي تُطرأ على القصة خلال الرحلة من شعب إلى شعب آخر.

تشابه القصص الشعبية فيما بين الآداب

إن تشابه القصص التراثية الشعبية تعكس حياة بسيطة عن شعوب مختلفة، لأن الأفكار لدى الشعوب عادة ما تتماثل، والطبيعة تتشابه رغم بعد المسافات. يعود سبب هجرة القصص لأن القبائل تهاجر من مكان لأخر لأسباب البحث عن معيشة أفضل. وهجرة البدو وراء الماء والكلا، طبيعياً أن مع هجرة البشر تُهاجر القصص والثقافة والعادات(22). وكما نعلم أن الناس يتبادلون نقل القصص من بعضهم للبعض بشكل شفوياً ويعتمد إعتماد كلي على الذاكرة ونجد أن القصة تهجر من منطقة لأخرى لأن الهجرة كانت العامل الأساسي للحياة حيث كانوا ينتقلون من مكان لآخر لأسباب اقتصادية للبحث عن الكلا والأكل(23). القصة الشعبية لا تكون وليدة لشعب معين أو عصر معين، إنما تكون امتداداً لعصر قديم.

عزاء حسين تقول "أن القصة الشعبية حكايات تروى منذ مئات السنين ومن الممكن أنها بقايا أسطورية لمعتقدات قديمة ويصعب معرفة تاريخها ونشأتها"(24). القصص الشعبية تكون متكررة بين الشعوب المختلفة الإ أنها تختلف في بعض عناصرها وألفاظها، وشخصياتها. وهنا يبرز دور الأنسان لإنه هو الذي ينتقل من مكان لآخر عبر الرحلات المختلفة والأغراض المختلفة ويحمل أثناء ذلك تقاليد وأعراف وقصص فإذن القصة تهاجر لتستقر في المكان الجديد، لاحقا تصبح جزءاً من ذلك المجتمع. والقصة الشعبية تعكس أحاسيس وعواطف الأنسان، تكون العادات مثل الكرم والشح، العدل والظلم، الخير والشر(25). عدة عوامل ترجع للأختلاف الذي يطرأ على القصة عند هجرتها من منطقة لأخرى: من أهمها هجرة العشائر، والفتوحات وبعض من الظواهر اللسانية العامة، والتنوع الجغرافي. الحكاية الشعبية منذ انطلاقتها الأولى كانت نفسية، تعبر عن هموم الإنسان السياسية والاجتماعية، الذي ساعد على الحذف والإضافة هو أن القصص الشعبية لم تكن مدونة. الدوافع التي ساعدت على تشابه

القصص الشعبية هي دوافع اجتماعية على العموم، لذا أغلب الشعوب التجأت للقصص الشعبية للتخفيف عن الهموم، والمشاكل المنتشرة في المجتمعات.

القصة عند العرب

فن قديم انتشر لدى العرب، القصة وهي صوت للفرد الواحد لأنها مناجاة أشجان الكاتب، والقصة عرفها العرب أنها الفن القديم حيث أنهم كانوا يرؤونها لبعضهم ومع بعضهم البعض في حلهم وترحالهم. ثم القرآن الكريم، أخذ الفن ونقل عديداً من قصص في السور القرآنية مثل قصة أصحاب الكهف، ونبي الله نوح وفرعون(26).فن القصة لم يقطع مسيرته حتى في العصر الإسلامي حيث القرآن الكريم نجده تبنى هذا الفن ليُسرد لنا قصص الأنبياء والأمم السابقة. ثم الأدب العباسي كان زاخرا حيث نجد مؤلفات الجاحظ مليئة بالقصص والحكايات(27).نضجت القصة في العصر الحديث أي آواخر القرن العشرينات عندما احتك العرب بالغرب: قال محمد الحاجري: "القصة فن لم ينضج سوى باحتكاك العرب مع الغرب"(28).نشأة القصة الشعبية عند العرب نجد صعوبة في تحديد زمنها وذلك يرجع إلى طبيعة القصة الشعبية، لأن القصه مكنونة شفهية وليست مكتوبة، ولأنها تختلف عن القصة الأدبية التي ممكن الرجوع لمؤلفها، بينما القصة الشعبية فمؤلفها مجهول، وهو يعكس أن القصة الشعبية شاعت ووجدت منذ فجر التاريخ، وظهورها مرتبط بظهور الإنسان على الأرض، غير أن الإسلام غير مجرها.ونجد القصص العالمية مثل "قصة عنترة العربية" تصف شجاعته وحبه وإخلاصه لعائلته(29). لابد أن نذكر قصص "كليلة ودمنة" قصصاً إنتشرت في الآداب العالمية والتي ترجمت إلى العديد من اللغات الحية، نستخلص من ذلك بأن الأدب الحديث عرف فن القصة نيتجة عن التعريب وترجمة التراث الغربي(30).لابد أن نذكر الغرب وتاثرهم بالتراث الشرقي واليوناني، لكن تاثير الأدب العربي كان أكثر بعد ترجمتهم لقصص "ألف ليلة وليلة".

فن القصة في الأدب الأردي

لا يتعدى عمر الأدب الأردي قرنا من الزمن لكنه طغى عليها الطابع الغربي من المواضيع ذات اختصاص سياسي واقتصادي واجتماعي منهم الكاتب "مولوي نذير أحمد(31)". لقد شهدت شبه قارة الهندية ثورات اجتماعية سياسية: منها تقسيم البنغال وبعدها تشكيل الرابطة الإسلامية ثم الحرب العالمية وأهم شي كان مجزرة حديقة (جليانواله) الدموية(32). بعد قيام باكستان انتشر و ذاع صيت الكاتب القصصي والروأي "نسيم حجازي" ثم رواية "عبدالله حسين" "أداس نسلين/الاجيال الحزينة".وكانت اللغة الأردية في القارة الهندية لغة البلاط و الطبقة العليا، نالت الرقي والنمو على يد

"ولي الدكني" وبعد ذلك بدءت الحركات الدينية التي أثرت في الأدب الأردي، كان ازدهار الأدب على يد شعراء اشتهروا مثل محمد مير تقي مير، وغيرهم وازدهر على يد الأديب الطاف حسين حالي ومولانا نذير أحمد الإنتاج الأدبي واشتهرت رواية "مرآة العروس". وكان الانتاج الأدبي الأردي يظهر معاناة للمسلمين من الإنجليز.مما لا شك فيه أن الأدب الأردي تأثر فعلياً بالعربي، حيث نجد الشعر الموزون المقفى عند العرب ونجد في الأردية تنظم على منواله القصائد. نجد فن العروض في الشعر الأردي، وجاء هذا من محاكاة لشعراء العرب.

العلاقة بين الأدبين العربي والأردي

القصص الشعبية مليئة بعناصر ثقافية وعادات وطقوس الشعوب، هذه كلها تساعد على التأثير والتأثر ما بين الآداب، سواء أكانت من لغة واحدة أو من لغات مختلفة أم كانت من ثقافة عربية أو أجنبية لكنها تنقل إلينا ثقافة المجتمع. وكما نعلم أن العلاقة بين الأدبين قديمة منذ فجر التاريخ، والسبب يعود للاتصال التجاري وبعدها لظهور الأسلام والدعوات الإسلامية، لأن العلاقات التجارية شهدت نشاطاً بين المنطقتين. وكما ذكر الدكتور عبد المنعم إن الصلات بين الهند والعرب كانوا يمارسون التجارة مع العرب والذي ادى الى صلتهم مع البلاد الغربية(33).كانت أسواق العرب أيضا مشهورة في التجارة حيث كان يحمل التجار السلع من شبه القارة الهندية إلى الخليج عن طريق القوارب التي ادت إلى زيادة العلاقات التجارية. ومع العلاقات التجارية دخل الأدب وأثر فيه ونرى أن الأدب الأردي ولد في ظل اللغة العربية والإسلام. وتبادلت الظواهر الأدبية وترجمت العديد من القصص العربية الشعبية إلى الأردية: منها بلقيس وسليمان، والف ليلية وليلة، ومنها قصة مجنون وليلي. وحتى الأشعار تاثرت بالألفاظ العربية فنجد الشعراء يؤلفون أشعار يستخدمون فيها كلمات عربية. زادت العلاقات بين الأدب العربي والأردي، واعتنق العديد من اهل الهند الإسلام، واعتبروا أنفسهم جزءا من الأمة الإسلامية(34). وإن الأردية نالت حظاً وفيراً من العربية من التعبيرات العربية وحتى أنه يقال بإن نسبة الألفاظ العربية في المعاجم الأردية تزيد على المئات، والتكوين الصرفي جاء من العربية إلى الأردية(35)، وأصبحت اللغة العربية لغة أدبية في شبه القارة الهندية، مع أن الفارسية كانت لغة التأليف، لكن الإسلام شجع الأدباء على تعلم العربية. حتى الأمثال العربية نجد لها أثرا في الأمثال الاردية. أن العلاقات بين العرب وأهل الهند سواء اكانت تجارية أم سياسية أم ثقافية فهي ساعدات على توثيق العلاقات بين الأدبين. فنجد أن كلايهما قاما بإعادة صياغة القصص بطريقة فنية جديدة. ونجد الاستنباط للإحكام الشرعية كان بكلمات عربية، والأمثال العربية دخلت أيضا الى الأدب الأردي،

وكان الاقتباس من القرآن والسنة والأمثال عاملا مهما في إثراء الأردية، لامناص أن العرب لهم الفضل في تطوير الفكر الأدبي والثقافي بالشبه القارة الهندية. عندما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية دخلت الفنون الأدبية مثل المقامات والحكايات الشعبية في الأدب الأردي. والقصص البطولية والشجاعة مثل قصص المغامرات والحب والأسفار(36) أيضا دخلت للأدب الأردي. ونجد الأستاذ أحمد إبراهيم(37) يقول أن أهم شي استفاده الأدب العربي من بعض لغات شبه القارة الهندية ومجاورتها الفاظاً مثل (زنجبيل، كافور) وقصصا شعبيةً مثل (كليلة ودمنة) وحكمها. عندما ندمج الملاحم التاريخية في الأدبين نجد غلبة الخيال القصصي العربي على الأردي، ونجد أيضا قصة يوسف وزليخا، وليلي مجنون دليلاً على ذلك. نجد الحكايات مترجمة إلى العربية مثل كلستان سعدي، قصة حاتم الطائي، وقصص الجن والطلاسم والقصص الغرامية نجدها جاءت من تاثير الأدبين في بعضهم البعض. كان كل ذلك نتيجة للعلاقات السياسية والاجتماعية والثقافية والأدبية حيث استمد الأدب الشخصيات العربية والإسلامية في القصص ونجد هناك إعادة لصياغة القصص بطريقة فنية جديدة في الأدب الأردي.

انقسام شبه القارة الهندية وأثرها في الأدب الأردي

الأضطرابات انتجت الكثير من التقلبات والمتغيرات في القادة والسياسين الذين ساهموا في تقسم شبه القارة الهندية، والتي أدت إلى الفوضى وانتشار الكراهية في أبناء الديانة الهندوسية، لأنهم فقدوا بيتوتهم وممتلكاتهم وأصيبوا بالقتل والخطف والهجرة وكانوا ضحية للاضطرابات التي كان لها أثر في الأدب والأدباء والتي دفعت الكتاب إلى الكتابة التي كانت تظهر فيها التعقيدات النفسية بسبب الاضطرابات السياسية وما أفرزته من مآسي على المهاجرين الذين فقدوا ديارهم وأهلهم. ظهرت روايات وقصص للمؤلفين تروي الأحداث والواقائع بين الهندوس والمسلمين. يذكر د. أحمد إدريس(38): الأدب إزدهر في حقبة التي سيطر فيها المسلمين على المنطقة ومع استقلال باكستان عن الهند أثر ذلك على اللغة العربية وإنحصر تعليمها في المدارس الدينية، لأن الإنجليزية أصبحت لغة المدارس والحضارة.ونجد إنتاج شعري عربي في شبه القارة لكنه يحمل سمات خصة مختلفة عن المجتمع العربي، وكما نعلم العربية دخلت مع الفتوحات الإسلامية الإ أنها لم تتطور كما تطورت في الأندلس، مع أن احتكاكهم مع العرب كان لفترة زمنية واحدة، وأن شعراء العربية في القارة لم يعبروا عن مشاعرهم بنفس الأسلوب وشعرهم لم يتسم بسمات إنتاج العرب حيث إنه كان يعرف بالسذاجة الفكري والجمود(39).

قصة مجنون ليلي في الأدب العربي

إن قصة مجنون وليلي هو موضوع شك عند الباحثين لأنها متداولة في الأدبين وقد شاع أمرها لدى العرب أيضا وذاع صيتها في الأدب الأردي.القصة في المصادر العربية معروفة ومتداولة، نحاول تلخيصها في الأسطر القادمة:

نشأ قيس بن الملوح(40) في قبيلة بني عامر، وأم ليلي ولدت في بيت ثراء، وقيس كان من قبيلة لها شأن عالٍ(41). اشتهر قيس بجماله في قبيلة بنى عامر، وظرافته وفطنته لأشعار العرب، وكان أبوه سيد المنطقة لأنه يتمتع بثروته الوفيرة. عهد قيس برعاية الأغنام في المناطق المجاورة لكثرة الكلإ كانت قريبة من جبل "التباد" وكانت ليلي ترد إلى تلك المنطقة مع صديقاتها فشاهدها وتعلق بفتاة التي تسمى "ليلي" وهي كانت ترعي الأغنام في نفس المنطقة فقابلت قيس، بدأت اللقاءات تتكرر على أعالي الجبال، مع أغنامهم، حدث الحب بينهم لأنهم كانوا في سن متقاربة. ومرت الأعوام وكبر قيس وليلي، فمنع أهل ليلي من الخروج فبدأ قيس يزور منازلها يشم أخبارها، وتضايق بفراقها فبدأ يشتكي ويبكي ويقرض الشعر، يذكر ليلي في أشعاره(42)، قائلاً:

تعلقت ليلي وهي غر صغيرة ولم يبد للأتراب في .....

صغيرين نرعي البهم ياليت أننا إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

نجد ألمه ويسرح بحبه لليلي وضيق قلبه لفراقها. وعندما سمع الناس نقلوا أشعاره، وعرف الناس السر وحب قيس وليلي، بُعد قيس عن ليلي أدى إلى اختلال توزان قيس فطلب من والده أن يتقدم لخطبة ليلي لكن عم ليلي كان لديه الحقد والقسوة ضد قيس فرفض الزواج(43).لأن تقاليد العرب تمنع زواج فتى مع فتاة يتشبب بها، لذا رفض الطلب تماشيا للتقاليد وخوفا من العار و مع الحب الذي كان بينهم. بسبب الرفض زادت سوء حالة قيس، فكان يقابلها ليلا في غفلة عن أهلها، أوفدت والدته لتشرح لهم ما أصاب ولدها من ألم العشق، لتسعطف وتواسي وعرضت عليه فتيات أجمل من ليلي لكنه رفض الاقتران بأي منهن وأنشد أبياتاً (44):

قالوا لو تشاء سلوت عنها فقلت لهم فإني لا أشاء

وكيف وحبها علق بقلبي كما علقت بأرشية دلاء

في العديد من المرات كانت لم تفِ ليلي بوعودها للزيارة مع قيس بسبب ظروفها. وضاق أهلها بسبب قيس، فقرروا الرحيل عن الديار(45). قيس أصبح يدور ويمشي في الأحياء، أهمل نفسه وبدء يقضي حياته على الصدقات وعندما رآه عمر بن عبد الرحمان رق قلبه له وخرج إلى قبيلة ليلي ليتوسط ل

قيس، لكنهم أخبروه بأن السلطان أهدر دمه فعاد. وأثر ذلك بشدة في عقل قيس وبعد عمر بن عبد الرحمان حاول نوفل بن مساحق تزويج قيس مع ليلي، لكنه قابل رفضاً شديد اللهجة من والد ليلي، وعندما علـم قيس بذلك زاد بلاءه(46).

وفي مرة مر "نوفل" عامل الصدقات ووعد قيس بأن يزوجه ليلي، لكن عندما طلب ذلك من قوم ليلي أخبره بأن السلطان قد أهدر دمه، ففشل عمر ابن عبد الرحمان في إقناع والد ليلى، وزوجّها والدها. كان قيس يهيم في الصحراء مع الوحوش في الصحراء، وكان يرى صورة ليلى في الظباء ويسعى لإنقاذها من الأسر في الشبكة.وظل يهيم في الصحراء إلى أن وافاه أجله فحمله أهله ودفنوه، وبكاء عليه القوم جزعاً وبكاءً وحسرةً. رحلة قصة "قيس وليلي" من الأدب العربي إلى الأدب الأردي أصل نشأة قصة "قيس وليلي" من الأدب العربي، يعود وقتها للعصر الأموي، لكن هناك جدل حول حقيقتها وأسطوريتها، نسجها من خيال الإنسان العربي، لاختلاف تفاصيلها، اهتم العرب بنقل القصص، لذا لم نجد صحتها من سقمها(47). بينما نجد طه حسين يؤكد وجود شخصية حقيقة تشبه قيس وليلي(48). ومن المحتمل أن الأدب الأردي تعرف على قصة "قيس وليلي" عند دخول العرب إلى أرض شبه القارة الهندية أو دخلت إليه مرورا من الأدب الفارسي لأنها انتقلت إلى الأدب الفارسي لوجود أشعار فارسية وعبارات في الأدب الأردي. فكانت من أكبر قصص الحب المشتركة بين الأدبين العربي والأردي، وأيضا دخلت قصص العشق الأخرى مثل قصة "خسرو و شيرين" من الفارسية التي أيضا كانت في بلد الرافدين.ونجد أثر اتصال العرب بالفرس في أشعار الشعراء، "فالمرقش الأكبر" شبه البقر الوحشي متاثراً من الشعر الفارسي، وشبهت الخنساء أخاها "بخيلاء" كان أحد قواد الفرس(49). فهناك اعتقاد أن العلاقات بين العرب والفرس كانت أيضاً قديمة والاتصال الثقافي بينهم جعل القصة ترحل من الجزيرة العربية إلى الفرس ومنها إلى الأردية، حيث أن الأردية استمدت شخصيات وآدابا من الفارسية وأيضاً فنوناً شتى فمن الممكن أنها دخلت إليهم منها.

الخدمة الأدبية التي قدمتها قصة قيس و ليلي في الأدب الأردي

القصة الشعبية وعاء يحتوي على عبارات وأفكار في زمن التراث، وهي تشتمل على حكم ودروس أخلاقية وتدعو للتمسك بالقيم العليا في المجتمع، وأيضا تشتمل على دروس مليئة بالعبرات، والطقوس الشعبية، وعبارات شعبية فنجد أنه دخلت كلمة "عشق" العربية التي هي بديل لكلمة "الحب" فأستخدمت للعشق الإلهي و العشق البشري، بينما "العشق" في العربية درجة أعلى من الحب، فنحن على الترجيح بأن سبب انتشار قصص الحب والعشق في الأدب الأردي يرجع إلي البيئة وجمال

طبيعة منطقة البنجاب وملائمتها للذوق الرومانسي(50).نجد أن القصة تعطي قيمة فطرية للحب حيث أنه متأصل في الإنسان، فنجد أنها مرتبطة بالفطرة الإنسانية، فالشعور الذي ربط بين قلبين "قيس وليلي" أنه يتجه للعمق في رحلتها مع حياة العاشق المجنون حتى مرحلة إنتقاله إلى القبر.وهي خاصية تميز قيمة الحب والعشق الإلهي، فالمريد في الأدب الأردي طوال حياته يكون متأصلاً في قلبه ويكون الحب الألهي عميقاً في قلبه. والتشابه في حب قيس وليلي مع الحب الإلهي، إن كلاهما ممزوجان بالألم والشوق، والاحتراق الشديد لإرضاء المحبوب. وبطل القصة كان عاشقا مضحيا يفدي محبوبته بروحه مثله مثل العشق الإلهي الذي يضحي فيه المريد بكل ما يمكنه لإرضاء الطرف الآخر.وهذه القصة حولت مفهوم الحب في الأدب الأردي من لهو ومتعة إلى قيمة معنوية تدفع الشخص إلى التسامي والانجذاب ليكن مرضي ويظهر الكمال لمن يعشقه. نجد أن قصة "قيس وليلي" نتيجة فريدة للتداخل الثقافي بين الأدب العربي والأردي، ونعتقد أنها ساهمت في إبراز الشخص العربي المتعاطف المحب بالمعاني في الأدب الأردي، لأنه مصدر للقيم الروحية، وساهمت في تعضيد الصلة بين الأدبين، في الشكل والمضمون، كانت نموذجاً للتبادل الثقافي حيث تم ترجمتها إلى اللغة التركية والفارسية والفرنسية وغيرها من اللغات، وتم الترحيب بالقصة في جميع الآداب، وراجت في الآداب الشرقية والغربيـة.الأدب العربي أظهر الحب العذري العفيف، بينما الأردي حوله من حب عذري عفيف إلى حب صوفي، والتصوف أصبح مظهراً من مظاهر الحياة العامة في شبه القارة، رغم ان قيس لم يكن صوفيا.

قصة قيس وليلي في الأدب الأردي:

كتبت قصة "ليلي والمجنون" معتمدة على الروايات العربية، في الأدب الأردي بدأت القصة بأبيات شعر وهي أيضا تشبه القصة العربية وعشق الفتي قيس وعلاقته مع ليلي، بدأت قصة حُبهما حيث التقيا في مكتب لدراسة القرآن، فتعلق قلب قيس بها وأصبحا يلتقيان كثيراً، وذاع صيت حب ليلي و قيس على كل لسان، حتى أطُلق عليه اسم مجنون، وبدأ ينظم أشعاراً في حبها واللوعة بها، يرددها كل من سمعها. وأغلب أحداث القصة بُنيت على الروايات العربية، حيث الشخصيات والحُبكة والأماكن كلها تحمل الأسماء نفسها(51).وكان لقيس أب عظيم الجاه والجلال محاط بالعناية والرعاية، وكان يدرس في الكتاتيب الدينية وكانت ليلي تدرس فيها أيضاً، حتى تحولت الصداقة إلى حب، ووصل خبر الحب إلى والد ليلي. فحجبها أهلها عن قيس وعندها بدء قيس يعاني عذاب الفراق.وعند فراقه لحبيبته يجن جنانه ويبدأ بالتنقل بين الوديان ويقرض الأشعار خارجاً إلى الصحراء. وأنشد شعراً في حب ليلي كان مثل النار على الماء حيث يبكي القراء. فرق والد ليلي المحبان وقرر تزويج ابنته، وعندما وصل

الخبر إلى قيس عن زواج ليلي أصبح كطير مكسور الجناح فأصبح يجوب في الصحراء باكياً. شكا اهل ليلي للخليفة ليبيح دمه إذا ما رءاه أو قدم إلى حيهم. وبعد زواج ليلي أقسمت ليلي أمام زوجها أنه لن ينال منها غرضه، وإلا تريق دمها فيئس منها. كان لقيس خال عندما علم عن حاله فذهب خلفه وحزن عندما رآه في الثياب الممزقة فأحضر له الثياب والطعام وحاول أن يرتب له لقاءً مع ليلي، وفعلا التقيا. ومات زوج ليلي فجاءت لبيت أبيها، اشتد بها مرضها وساءت حالها وأصابها مرضا حتى أتتها المنية وماتت وعندما يصل خبر موتها إلى قيساً فيجري إلى قبرها يبلل قبرها بدموعه حتى صعدت روحه ولحق بها(52).فكان حب ليلى وقيس حباً عذرياً اتخذ وطريقه من العشق الى الحق، حيث أن حب ليلي وفراقها جعل قيساً يتجه إلى الله ويفكر في أسرار الكون والخلق حتى يصل إلى أن المعشوق الخالد هو عشق الله.

إختلاف أحداث قصة قيس وليلي بين الأدبين

تم إضافة بعض الأحداث في قصة الأردية لم تكن موجودة في الأدب العربي فنجده يُذكر أن قيساً كان ابن ملك و وريث عرشه. بالغ في الأشعار التي قالها قيس وحالته المادية.أهم السمات التي امتازت بها القصة العربية هي الإيمان بالقضاء والقدر وأن ما حدث هو مكتوب إلهي، ولم يصارع البطل (قيس) القدر في القصة كما يحدث في قصص الأوروبية والإغريقية. الأدب العربي يروي أن قيساً أصابه الجنون بسبب فراق ليلي، بينما القصة الأردية فإن والد ليلي رفض زواجهما بسبب حالته الجنونية و كان يخاف على إبنته من المجنون. تمت إضافة أحداثاً لم ترد في القصة العربية لقاء الحبيبن في المغانم، وتعلمهم القراءة في الكتاتيب.

النهاية للقصة

1. نجد التشابه في النهاية العربية والأردية لقصة "قيس وليلي" حيث أنها انتهت بموت العاشقين.
2. الشخصيات للقصة العربية والأردية بها تشابه في الشخصيات البارزة وهم قيس، ليلي، والد ليلي. زوج ليلي.
3. ونجد التشابه في الأحداث بينهما سبب وفاة ليلي وقيس كان الفراق ونجد تشابه في النهاية. وإصابة قيس بالجنون.
4. الهدف من القصة كان إظهار الحب العذري في الأدب العربي حيث تحول من حب عفيف إلى حب صوفي، حيث تجرد من الزواج وتحول للصوفية. وكان أسلوب القصة متشابها حيث بعد عن التعقيد والكلمات الصعبة، ويمكننا القول إن القصة عندما نقلت من الأدب العربي إلى الأردي حافظت على العناصر والشخصيات والأحداث.

الخاتمة و النتائج

نستنتج من القصة الروابط العميقة بين الأدبين العربي والأردي ذلك بسبب التجارة والسياسة، ولكنها توطدت بسبب إنتشار الدين واعتناق شبه القارة الإسلام، وإدخال كلمات عربية في الأردية، مما أدى إلى التبادل الثقافي.الإسلام أغنى اللغة الأردية بالحرإلى اوف و العبارت والكلمات، وأيضا نجد التاثير في الجمل الأردية. ونجد تاثير الفن حيث دخل فن القصة والشعر والمقامة للأدب الأردي.نجد أن قصة "مجنون وليلي/ قيس وليلي" كانت لها شهرة في قصص الحب والعشق أدخلت موضوع الحب العذري والصوفي في الأدب الأردي. والإسلام جعل اللغة الإردية غنية بمصطلحات ومفردات لم تكن موجوده في الأدب الأردي، وأعطى صبغة جديدة من خيال قصصي ممزوج بالحب والتصوف. فقصة قيس وليلي اشتهرت بالحب العفيف ومحاربة الظروف للوصول للهدف النبيل وأعطت نوع أدبي يتميز بتجرده من النفس وملذات الدنيا ليكون رمزا للحب الإلهي. توصلنا من خلال الدراسة أن إتصال العرب مع الشعب الهندي ترك أثراً في اللغة والعادات والطقوس وأدخل فنوناً شتى في الأدب الأردي.السمة البارزة في القصة هي إيمان "قيس" بالقضاء والقدر حيث صبر على فراق ليلى وتحمل ذلك بالصبر واعتباره منه بأنه قدر مكتوب و لم يسعى لمقاومة القدر.دخول فن القصة العشقية والعشق العذري إلى الأدب الأردي بعد اختلاطه مع العربي.

قصة قيس وليلى كانت من الموضيع ذات الاهتمام في الأدبين وتطورت عبر القرون حتى القرن العشرين حيث أنه العديد من المرت تم تحويلها لأفلام سينمائية. كانت صبغة أدب الحب والرومانسية ظاهرة في الأدب الأردي من مكونات القصة الأردية.

الهوامش

[1] امين عبد المجيد بدوي: القصة في الأدب الفارسيي، دار النهضة العربية بيروت، 1981م ص298

[2] جمال الدين محمد ابن منظور: لسان العرب، فصل القاف، بيروت، لبنان 1992، ص77

[3] ابي هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص430

[4] عبد الحميد بورايو، القصص الشعبية بالجزائر، ص185

[5] نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار مكتبة غريب للطباعة القاهرة، ط1، 1991م، ص19

[6] روزلين ليلي قريش: القصة الشعبية ذات الأصل العربي، ديوان مطبوعات الجزائر، ط1980، ص91

[7] عز الدين إسماعيل: الأدب وفنونه، دار الفرع العربي، ط1999، ص14

[8] محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر ط1997،1، ص 504

[9] حميد الحمداني، الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراس بنيوية وتكوينية) دار الثقافة رباط، 1985، ص80

[10] نبيلة إبراهيم، قصصنا الشعبي من الرومانسية للواقعية، بيروت، طرابلس 1974 ص6

[11] التلي بين الشيخ، منطلقات التفكير في الأدب العربي،الجزائر، 1990، ص190

[1212] عمر بن قينة، قصص شعبية من الجزائر، الجزائر، 1986، ص6

[13] أحمد كمال زكي، الأساطير، دراسة مقارنة، بيروت، 1979، ص68

[14] د. ميشال عاصي، الفن والأدب، مؤسسة نفل، بيروت، 1980م ط3، ص 173

[15] عمر بن فينة، مرجع سابق، ص127

[16] نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار المعارف، القاهرة، ط3، ص171

[17] محمد رجب النجار، التراث القصص في الادب العربي، مجلد1، ص 31

[18] روزلين ليلي قريش، القصة الشعبية الجزائرية، المصبوعات الجزائرية، الجزائر، 1980، ص21

[19] مصطفى شاذلي، القصة الشعبية في اوربا، عبد الرزاق الحليوي، أليف، دار تبقال، 1997م، ص 36

[20] عبد الرحمن عمر السارسي، الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني، ص133

[21] عبد الحميد بورايو، القصص الشعبية بالجزائر، ص33

[22] عبد الحيمد بورايو، القصص الشعبية، ص13

[23] محمد السويدي، دراسة للمجتمع العربي، ديوان المطبوعات الجزائر، ص 166

[24] زراء حسن مهني، أدب القصة الشعبية، دراسة اجتماعية، ص128

[25] التلي بن الشيخ، منطلقات التفكير في الأدب العربي، الجزائر، ص7

[26] شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، ص12

[27] محمد يونس عبد العال، النثر العربي فنون ونصوص، القاهرة، ط1، ص123

[28] مرجع سابق

[29] محمد تيمور: دراسات في القصة والمسرح، ص15

[30] روز لين قريش، مرجع سابق، ص35

[31] نذير أحمد دهلوي، عرف بالزهد والتقوي وتقلد مناص القضاء درس كلية دهلي، انظر الموسوعة جامع اردو ص1714

[32] سليم اختر، دكتور، اردو ادب كي مختصر ترين تاريخ، ط11 1981م، ص927

[33] د. عبد المنعم تاريخ الإسلام في الهند، الهيئة العامة للكتاب القاهرة ط1990، ص60.

[34] عبد الواب عزام، صلات العرب مع الامم وأدابها في الجاهلية والإسلام، القاهرة، 2013، ص63

[35] د. شوكت سبزواري، أردو قواعد، ص8

[36] محمد يونس، مرجع سابق، ص128

[37] أحمد إبراهيم مصطفى الهاشمي، جواهر الأدب وإنشاء اللغة، ص329

[38] د. أحمد إدريس، الأدب العربي في شبه القارة الهندية حتى أواخر القرن العشرين، القاهرة مصر ط1998م ص22

[39] د. جميل أحمد، حركة التأليف باللغة العربية، ص140

[40] قيس بن الملوح: ديوان قيس: مجنو ليلي رواية أبي بكر الوالبي، دراسة سرى عبد الغني، بيروت1999 ط1، ص28

[41] طه ندا: الأدب المقارن، دار النهضة العربية، بيروت ص160

[42] قيس بن الملوح: ديوان قيس بن الملوح، مجنون ليلي رواي ابي بكر، الكتب العليمة، ط1، بيروت 1999، ص28

[43] طه ندا: مرجع سابق، ص161

[44] قيس بن الملوح: مصدر سابق، ص54

[45] طه ندا: مرجع سابق، ص161

[46] محمد السويدي، مصدر سابق ص161

[47] أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، ج2، ص11

[48] طه حسين، تاريخ الأدب العربي، ج1، ص484

[49] المفضل بن محمد الضبي، المفضليات، دار صادر، ط1، بيروت 2003، ج2، ص29

[50] محمد كفافي، في الأدب المقارن، الأدب الشعبي، دار النهضة العربية، بيروت 1971، ط1، ص332

[51] ليلي ومجنون از ذولفقار ارشد جيلاني ارود ترجمة بتصرف للعربية ص 15

[52] ارشد جيلاني، ليلي ومجنون ترجمة بتصرف ص 27